أزمة العقل الإرهابي

السيد ياسين

● منذ أكثر من عشر سنوات وفي خضم المعركة السياسية والفكرية ضد الجماعات الإسلامية الإرهابية التي خاضت في الإرهاب، متمسحة في ذلك بتفسيرات مشوهة لبعض النصوص الإسلامية، نشرت مقالاً بعنوان "أزمة العقل التقليدي". وفي هذا المقال حاولت أن أقيم تقابلاً بين العقل التقليدي والعقل العصري.

وقلت إنه يبرز في المرحلة الراهنة خطاب تقليدي يتبناه مثقفون من اتجاهات فكرية شتى، وهو يبسط رواقه على مختلف جنبات المجتمع العربي. وهذا الخطاب يخوض معركة شرسة مع الخطاب العصري الذي يتبناه مثقفون من مشارب فكرية مغايرة. والسمات الأساسية للخطاب التقليدي أنه يتشبث بالماضي، وهذا الماضي المختار المتخيل يختلف بحسب هوية منتج الخطاب. وهو خطاب يهرب من مواجهة الواقع، ولا يعترف بالتغيرات العالمية، أو على الأقل يحاول التهوين من شأنها، أو يدعو بصورة خطابية للنضال ضدها، وبغير أن يعرف القوانين التي تحكمها. ومن سماته إلقاء مسؤولية القصور والانحراف على القدر أو الضعف البشري أو على الأعداء. وهو في ذلك عادة ما يتبنى نظرية تآمرية عن التاريخ، وهو أخيراً ينزع – في بعض صوره البارزة – إلى اختلاق عوالم مثالية يحلم دعاته بتطبيقها، بغض النظر عن إمكانية التطبيق أو بعدها عن الواقع. أما الخطاب العصري فهو خطاب عقلاني، يؤمن بالتطبيق الدقيق للمنهج العلمي، وعادة ما يتبنى رؤية نقدية للفكر والمجتمع والعالم. وهو خطاب مفتوح أمام التجارب الإنسانية المتنوعة، يأخذ منها بلا عقد، ويرفض بعضها من موقع الفهم والاقتدار، والثقة بالنفس، ولا يخضع لإغراء نظرية المؤامرة التاريخية الكبرى، كما أنه يعرف أنه في عالم السياسة ليست هناك عداوات دائمة او صداقات خالدة، بالإضافة إلى أنه ينطلق من أن الحقيقة نسبية وليست مطلقة، وأن السبيل لمعرفتها هو الحوار الفكري والتفاعل الحضاري، ولا يدعو لمقاطعة العالم أو الانفصال عنه، ولا يدعو إلى استخدام القوة والعنف ولا يمارس دعاته الإرهاب المادي أو الفكري.

العقل التقليدي والعقل الإرهابي

سجلت هذه الأفكار منذ عقد من السنين، ومن هذا التاريخ جرت تحت الجسر مياه كثيرة! فقد استفحلت ظاهرة الإرهاب، وانتشرت في طول البلاد الإسلامية والعربية وعرضها، بالرغم من اختلاف النظم السياسية، وما لبث الإرهاب أن قفز في المجهول قفزة كبرى حين انطلق ليهاجم مراكز القوة في النظام الأمريكي، وذلك في الأحداث الشهيرة التي وقعت ضد الولايات المتحدة الأمريكية في ١١ سبتمبر ,٢٠٠١ ومن ناحية أخرى انتشرت في نطاق مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال ظاهرة تفجير المقاومين لأنفسهم، فيما أطلق عليها العمليات الانتحارية في قول، والعمليات الاستشهادية في قول آخر. وما لبث هذا الأسلوب أن انتقل من نطاق المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، إلى ميادين أخرى ليس فيها أعداء إسرائيليون، وإنما مواطنون عاديون، مثلما حدث في حادث حي الأزهر في مصر، حيث فجر شاب مصري يافع نفسه، وأدى انفجار القنبلة إلى مصرع عدد من الأجانب والمصريين، وجرح عشرات المواطنين المصريين.

وهكذا نجد أنفسنا اليوم في مجال العلم الاجتماعي المهتم بالعنف والإرهاب لتحديد الأسباب وبيان استراتيجيات المقاومة، لسنا أمام العقل التقليدي، ولكن أمام ما يمكن أن نطلق عليه العقل الإرهابي.

وبعد تأمل طويل في مسيرة الإرهاب الذي تمارسه على وجه الخصوص الجماعات المتأسلمة (أي التي ترفع زوراً وبهتاناً أعلام الإسلام) والتي يمكن لتنظيم "القاعدة" أن يكون نموذجها البارز، أدركت أن العقل التقليدي هو الذي يمهد الطريق لنشأة العقل الإرهابي الذي يدفع صاحبه للفعل. وذلك لأن العقل التقليدي يتسم أساساً بأنه ينطلق من رؤية مغلقة للعالم. وفي تقديرنا أن مفهوم رؤية العالم الذي أصبح من المفاهيم الرئيسية في التحليل الثقافي، هو مفتاح فهم أسباب الإرهاب الحقيقية.

لقد نحينا جانباً في مقالاتنا الماضية المنهج الاختزالي الذي يحصر الأسباب في الفقر أو القهر السياسي، على أساس أن إرهابيين عديدين ينحدرون من أصول طبقية غنية، بالإضافة إلى أنه ليس كل مواطن عربي يخضع للقهر السياسي يمكن أن يتحول – هكذا ببساطة – إلى إرهابي!.

غير أن التفسير يكمن في أن هناك جماعات تتولى غسيل مخ الشباب على وجه التحديد، وتمدهم برؤية تقليدية متزمتة للعالم. وإذا كان التعريف المعتمد لرؤية العالم أنها النظرة للكون والمجتمع والإنسان، فإن هذه الجماعات لديها نظرياتها وشروحها الدينية التي تنظر للكون والمجتمع والإنسان نظرات خاصة. وربما كانت نظرية "الحاكمية" التي تذهب إلى أن الحاكمية لله وليست للبشر، بالإضافة إلى تكفير المجتمع العربي والإسلامي، ونعت المواطنين بأنهم منحرفون عن مقاصد الدين الحقيقية، بالإضافة إلى الكراهية العميقة للأجانب باعتبارهم كفاراً وملحدين، وأنهم يشنون حرباً صليبية ضد دار الإسلام، مما يدعو إلى الجهاد ضدهم، هي الملامح الرئيسية لرؤية العالم التقليدية المتزمتة، التي هي المقدمة الضرورية لتشكيل العقل الإرهابي. وحين وصلت في تفكيري إلى هذه النتائج تساءلت: هل فكرة العقل الإرهابي متداولة في إطار العلم الاجتماعي المهتم بدراسات العنف والإرهاب أم لا؟

وحين حاولت التماس الإجابة في شبكة الإنترنت فوجئت حقاً بأن مفهوم "العقل الإرهابي" يستخدم بكثرة في الكتابات العلمية التي تحاول تأصيل أسباب الإرهاب.

وأكثر من ذلك فوجئت بمقالتين أحداهما للفيلسوف الفرنسي الشهير "بوديار" وهو من رواد حركة ما بعد الحداثة، عنوانها "عقل الإرهاب"، والأخرى للكاتب الفرنسي المعروف "آلان مينك" وعنوانها "إرهاب العقل". وساعتها أدركت أنني باستخدام مفهوم "العقل الإرهابي" للدلالة على عقل خاص له سمات فارقة تميزه حتى عن العقل التقليدي والعقل العصري الذي ألمحنا من قبل إلى سماتهما الرئيسية، ليس بعيداً عن لغة العلم الاجتماعي المعاصر.

الجذر الأصولي للعقل الإرهابي

وإذا كنا قد أكدنا أن العقل التقليدي هو المهد بالضرورة للعقل الإرهابي الذي يدفع الشخص لارتكاب الأفعال الإرهابية على أساس أنها "جهاد" في سبيل الله، فإن هذا العقل التقليدي لا تفهم مكوناته الأساسية بغير ردها إلى أصل واحد هو الأصولية.

ونحن لا نستخدم مفهوم الأصولية هنا بالمعنى الإيجابي للكلمة، ونعني العودة إلى المبادئ الأساسية للدين التي تتسم بالنقاء بعيداً عن ثرثرة الهوامش في عصور الانحطاط، والتهافت الفكري والجمود المذهبي للحواشي التي كتبت شرحا للأصول، ولكننا نستخدمها بمفهوم الجمود العقائدي والتزمت الفكري.

وقد أبرز الكاتب المغربي المعروف علي أومليل في بحث له بعنوان "حوار الثقافات: العوائق والآفاق"، هذه المعاني السلبية للأصولية. (نشر البحث في أعمال ندوة حوار الثقافات: هل هو ممكن؟ التي عقدت في الرباط في يناير٢٠٠٣م).

فقد استطاع أومليل ببراعة ومن خلال تتبعه التاريخي للمواجهة التي تمت بين العالم العربي والعالم الأوروبي في بداية النهضة العربية الأولى، أن يبرز تبلور الإدراك العربي بأن وراء تفوق العسكرية الأوروبية تفوقاً في تنظيم الاقتصاد والمجتمع والدولة، وأيضاً تفوقاً علمياً وتكنولوجيا. وأن وراء كل منظومة التقدم الغربي قيما ومبادئ كالتربية على الحرية والمساواة، وحرية التعبير والصحافة، وسيادة القانون والمساواة أمامه.

غير أنه إزاء ظاهرة التقدم الغربي تبلور وعي مزدوج تجاه الغرب، فهناك إعجاب بمظاهر تقدمه، ولكن هناك أيضاً الغرب الاستعماري المزدوج المعايير. فهو يضمن الحرية لمواطنيه ويحرمها على الشعوب التي يستعبدها.

وقد سبق لنا أن عبرنا عن نفس هذه الفكرة في بحث لنا بعنوان "الغرب باعتباره النموذج وباعتباره العقبة"، قدم لمؤتمر اللقاء الحضاري بين الثقافة العربية والثقافة الغربية الذي نظمه معهد "إبالمو" في إيطاليا منذ سنوات بعيدة، وشاركت فيه نخبة من المفكرين العرب والغربيين.

وقد كان "أومليل" موفقاً حين ربط بين توحش الدولة السلطوية العربية ونزعة تيار الإسلام السياسي لرفض الحداثة، والوقوع في فخ العقل التقليدي بكل رؤاه الرافضة والمتزمتة.

وذلك على أساس أن فشل الدولة السلطوية في تحقيق تنميتها المزعومة ينتج عنه نوعان من رد الفعل. الأول ذهب إلى أنه لا تنمية حقيقية بغير تنمية سياسية ديمقراطية أساسها حقوق الإنسان. والثاني هو رفض الحداثة بما فيها الحداثة السياسية و التي أساسها الديمقراطية. وهذا هو موقف الإسلام السياسي الذي تمثله الأصولية.

ويقول "أومليل" في شرح هذا الاتجاه أنه "ما دامت التنمية – نظرياً – هي طريق إلى الحداثة، وما دامت الدولة السلطوية قد فشلت في تحديث المجتمع، فقد كفر الإسلام السياسي بالتنمية والحداثة معاً!

ويضيف أن فكر الأصوليين دار خارج إشكالية الحداثة. ذلك لأن التفكير في التنمية هو تفكير بالزمان والتاريخ، أما فكر الأصوليين. فهو فكر لا زماني ولا تاريخي. لأنه تفكير في نص مقدس تفكيراً خارج الزمان.

والأصولي يرفض الحداثة -كما يقرر أومليل- لأنها تغريب بمعنيين: أولاً لأنها تغريب بالإسلام إذ يصبح غريباً بين أهله، وثانياً: لأنها اقتداء بالغرب.

والإسلام بالنسبة للفكر الأصولي المتشدد هو يرفض أي حوار بين الحضارات، بل إنه ينضم للأصوات العنصرية في الغرب التي تدعو للصراع بين الحضارات. والإسلام في هذا الفكر الأصولي ينبغي أن يسود ليس بالدعوة فحسب، وإنما بالجهاد أيضاً والذي يعني فرض فكرة الدين بالعنف والإرهاب. وهكذا تتبنى الصلات العضوية الوثيقة بين العقل التقليدي الأصولي والعقل الإرهابي.

ولو قرأنا النصوص التي أنتجها الأصوليون المتشددون في الجماعات الإسلامية المختلفة لأدركنا أن عنف الخطاب لا يعادله عندهم إلا عنف الإرهاب.

● كاتب ومحلل عربي

عندما تتعرض المرافق الجميلة للتخريب..!!

■ فيما تقوم أمانة العاصمة ومجلسها المحلي بما فيها المرافق الخدمية بأعمالها ومشاريعها ذات الارتباط بتحسين كافة الجوانب الحضرية والتي باتت محسوسة وملموسة عند معظم سكان الأمانة، وكل من يلجها من أي اتجاه أو مدخل وعبر ما يراه المرء من تطور وتحديث وتوسع في غير شارع أو دوار باتت معظمها منتظمة وجميلة وربما أصبحت تضاهي أحدث مداخل وطرقات العواصم العربية الأخرى..!

إن الإيجابيات التي نراها ونلمسها في عموم مدننا اليمنية الكبرى ومنها أمانة العاصمة صنعاء تغلب على أي سلبية قد تظهر أو تبرز هنا أو هناك رغم وجود وعي وإدراك الكثير من المواطنين بأن ما تحقق أو سيتحقق يعتبر مكسباً وطنياً وحقاً من الحقوق العامة، وبغض النظر عن القليل من الممارسات السلبية والتي قد تنتج عن تصرفات أفراد جهلة أو ممن يصفهم مجتمعنا بالحاقدين على كل منجز فإن نوعاً من اللوم والمقت الذي يوجه الى مثل هؤلاء ومن قبل العديد من الناس غير كاف باعتبار أفعال هذه الفئة القليلة وتكرارها لا تمثل سوى أشخاص عديمي الذوق والصفات الوطنية والدينية باعتبارهم أيضاً بعيدين عن كل مبادئ الحياة الحضرية ويستحقون الردع من قبل الجهات المخولة بتأديبهم وتغريمهم طبقاً للقانون واللوائح المتصلة بالحفاظ على المرافق والأموال العامة في هذه المدن، وسواء كانت طبيعة المخالفات التي يقوم بها بعض ضعفاء النفوس بيئية أو مرتبطة بخدش معالم المدينة ومناظرها الجميلة كالأشجار والاشارات المرورية ومصابيح الإنارة ونحوها من المعدات والآلات الخاصة بالنظافة كبراميل وجرادل جمع وتصريف القمامة وغيرها.. فإن تعرضها للإتلاف من قبل من ذكرنا لابد وأن يقعوا تحت طائلة المسائلة ومن ثم العقاب الرادع والمناسب وذلك كسائر ماهو متعارف ومعمول به في شتى مدن العالم..!

عبدالله البحري

لقد شاهدت وغيري طفلاً صغيراً وهو ينظر باحتقار وسخرية مخلوجة بنوع من الدهشة والتعجب لحركات وتصرفات أحد المارة وهو يركل وبحماقة جردال صغير وضعته الجهة المعنية بالقرب من أحد الأرصفة وكأن هذا الشخص الأخير منتقم ويصب جلّ غضبه على هذه الخدمة المتميزة وكأنه يطبق المثل الشعبي القائل: «ضربوه في القرية وانتقم في صنعاء»..!

وكم من مشاهد معيبة وسلبية تتكرر كهذا المشهد ودونما أن يتم توجيه أو ردع الفاعل من قبل المارة أو غيرهم من القائمين على شئون المرافق المعنية، الأمر الذي جعل معظم السلال أو الجرادل الموزعة عند كل ركن وزاوية في شوارع الأمانة أشبه بهياكل عظيمة، أي أنها أصبحت عبارة عن أقواس مثبتة وبدون جرادل ولا حتى أوعية كانت ذات منظر جميل حتى لأعقاب السجائر

والله من وراء القصد...

الاستراتيجية الجديدة للأسرة العربية!!

أمين محمد أمين●

● انطلاقاً من دعاوى الإصلاح النظرية التي انطلقت في العالم العربي منذ فترات، وللأسف لم تنفذ أصدرت القمة العربية الأخيرة بالجزائر في صمت بعيداً عن القرارات السياسية الهامة!!

أول استراتيجية عربية للأسرة إذا توفرت الارادة العربية لتنفيذها من المؤكد ستحدث نقلة نوعية كبيرة في مسيرة العمل العربي المشترك. ومع التجاهل الإعلامي والرسمي والشعبي لهذه الوثيقة الهامة التي تقع في٥٢ صفحة ومن المؤكد أن الكثير من المسؤولين العرب والشارع العربي لم يطلع عليها وبالتالي لم ولن يتفاعل معها وهو ما يستوجب أهمية استعراضها ومناقشتها خاصة إذا كنا جادين في تطبيق برامج الإصلاح للكثير من الممارسات التي كشف عنها تقرير التنمية الإنسانية الثالث في العالم العربي ولم يخرج بعد عن نطاق الحوار بين مؤيد ومعارض دون أتخاذ أية خطوات للتنفيذ.

وتنطلق الاستراتيجية من الضمير والمبادئ التي دعت اليها الأديان السماوية وهي نقطة هامة خاصة في ظل الحملات الخارجية لإبراز الخلافات بين أتباع كل ديانة في المنطقة وتجسيدها من أجل إبراز الصراع الديني وفي الوقت نفسه تركز على تبني مفاهيم التراحم والتكافل بين الأفراد وبين الأسر عبر الأجيال وهو ما يؤكد مبدأين عاش بهما العالم العربي التكامل والتراحم وتواصل الأجيال.

وفي الوقت نفسه تنطلق مبادئ الاستراتيجية من خصائص الأسرة العربية التي ساهمت في تشكيلها الأنماط الثقافية السائدة في المجتمعات العربية وما أبرزته الدراسات من احتياج الواقع الأسري العربي إلى الدعم والمساندة والتطوير وهو الأساس لاجراء أية أصلاحات بالمجتمع كما لم تهمل الاستراتيجية أهمية التفاعل مع المتغيرات الدولية والاقليمية المتلاحقة لتوظيف ما يسفر عنه من ايجابيات وتحجيم آثارها السلبية المحتملة مع التناغم والتكامل ونصوص الاعلان العالمي لحقوق الانسان وللقمة العالمية للتنمية الاجتماعية والإعلان العالمي للمرأة وغيرها من المواثيق العربية التي صدرت وبكل أسف لم تنفذ ولم يشعر بها المواطن العربي بدءاً من ميثاق جامعة الدول العربية المطالب بتطويره وتعديله على الرغم من عدم تنفيذ بنوده إلى جانب البيان العربي لحقوق الأسرة وميثاق واستراتيجية العمل الاجتماعي والخطة العربية للشيخوخة والاستراتيجية العربية للنهوض بالمرأة ووثيقة السياسة العربية للشباب وخطة العمل العربية الثالثة للطفولة وكلها أسس ومبادئ صدرت منذ سنوات لتعزيز حياة أسرية كريمة ولكن للأسف أيضاً لم يشعر بها المواطن ولم ينفذ ولا تزال أحوال الأسرة العربية تسير كما هي وفقاً للمفاهيم والقيم والعادات والتقاليد.

ورغم ذلك فإن الاستراتيجية الجديدة تؤكد على ايمان القائمين عليها بأهمية النهوض بأوضاع الأسرة العربية من خلال اتخاذ موقف عربي جماعي يكرس الالتزام بتأكيد مكانتها في المجتمع وتعزيز علاقات الترابط بين أفرادها وأجيالها وتحسين ظروف معيشتها وتطوير القوانين والتشريعات التي من شأنها دعمها وحمايتها .ومن أهم ما أوضحته الاستراتيجية التحديات التي تواجه الأسرة العربية التي تعرضت ولا تزال إلى بعض العوامل والمتغيرات التي أثرت في تكوينها وبنيتها ووظائفها وأدوارها واستقرارها وفي منظومة القيم وأنماط السلوك وأساليب الحياة التي أثرت على العلاقات بين أفرادها وأجيالها وذلك برغم الانجازات الحكومية والشعبية المحدودة في التعليم والرعاية الصحية وتأهيل الشباب وخروج المرأة للعمل في بعض المجتمعات مع ظهور تشريعات وقوانين تضبط تكوين الأسرة مثل قوانين ومحاكم الأسرة. ورغم ذلك فإن الأسرة العربية تواجه العديد من التحديات التي لم تساعدها على أن تنمو وتنمو بالمجتمع.

ومن أبرزها اتساع الفجوة المعرفية والتقنية بين العالم العربي والكثير من دول دول العالم نتيجة الايقاع السريع للتطورات التكنولوجية والثورة المعرفية والتقدم العلمي وتطبيقاته.الى جانب المتغيرات السياسية وعولمة الاقتصاد التي فرضت تدابير قاسية على العالم العربي مما أدى إلى تراجع معدلات الانفاق الحكومي والدعم وانحسار دور الدولة بصفة عامة في المجال الاجتماعي بأغلب الدول. بالاضافة إلى تنامي عوامل عدم الاستقرار الاجتماعي نتيجة للانعكاسات السلبية على القضايا الهامة في زيادة نسبة عدد الباحين عن عمل والتسرب من التعليم وأنتشار الأمية وتناقص برامج الحماية الاجتماعية وتزايد نسبة مشاركة الأطفال في العمل وتدهور مستوى معيشة الطبقة المتوسطة التي أصبحت بكل أسف هي الطبقة الدنيا وانتشار ظواهر المخدرات والإدمان والعنف بين الشباب وتزايد ظاهرة العنوسة والانحراف وغياب دور الأب والأم وجميعها عوامل هددت الاستقرار والتقدم الاجتماعي وساعد على ذلك غياب الديمقراطية وتراجع حركة البناء والتنمية وارتفاع معدلات الفقر والجريمة وهو ما أدى إلى ظهور جرائم جديدة على المجتمع وانعكاس ذلك على الأسرة.

ومن أخطر التحديات هو افتقار السياسات الانمائية لمراعاة الجانب الانساني وربط عمليات التنمية الاجتماعية وبرامجها بالواجبات وأهداف المؤسسات المانحة وهي قضية خطيرة وأثرت كثيراً على الأداء الاجتماعي الذي أصبح بكل أسف وجهاً لخدمة أهداف المانح ومن نتائجه تراجع مستويات التنمية البشرية وتحول الأسرية إلى الفردية والأنانية والمادية والنزعة الاستهلاكية مما أضعف العلاقات الشرعية ومفهوم بيت العائلة اختفى من الريف والمدن وأصبحت الاستقلالية هي السمة السائدة، ومن نتائج ذلك ظهور العنف والصراع المادي بين أفراد الأسرة وتزايد معدلات التفكك الأسرى والطلاق وانعكاساته على الشباب والأطفال وامتد ذلك إلى طلب الشباب الهجرة إلى الخارج بدون دعم أو تخطيط مما أدى إلى تزايد معدلات الفشل والهروب والهجرة غير المشروعة ومن نتائجها تأخر سن الزواج نتيجة لعوامل اقتصادية واجتماعية وظهور ظاهرة العزوبة الدائمة وارتفاع معدلات الاعالة عن الأب والأم لأولادهم وتفاقم الأوضاع الاجتماعية للأسرة وزعزعة استقرارها وكان لظاهرة غياب الآباء بالخارج للعمل دور كبير في عدم استقرار الأسرة وتزايد انحراف الزوجات والأبناء.وعلى الجانب الآخر فإن الهجرة المكثفة للأسر نحو بلدان لا يتمتعون فيها بحقوق المواطنة دور كبير في التفكك الأسري وفقدوا علاقاتهم بين أهلهم في الوطن وعدم تكيفهم مع بلاد الهجرة المؤقتة للعمل إلى جانب مشكلات الكفيل ومعاملتهم في بعض الدول لا يتمتعون فيها بحق المواطنة التي يتمتع بها مواطنو هذه الدول لا يحق لهم الحصول على الجنسية بعد سنوات من الاقامة والعمل مثل المطبق به في من دول العالم الأوروبية.

وتتواصل التحديات التي تواجه الأسرة العربية من تنامي ظاهرة المرأة المعيلة للأسرة بسبب الترمل ووفاة الزوج والأب والطلاق وتفكك الأسرة مما ضاعف الأعباء على المرأة الأم مع عدم وجود آليات مؤسسية وبرامج معاونة لها جعلها تعيش مرحلة الضياع.

والأخطر هو الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في ظل القرية الاعلامية العالمية والسماوات الفضائية المفتوحة وتصاعد العنف والانحراف وغياب الحقائق جميعها دفعت العديد من الأسر والشباب إلى الانحراف وتبصيرهم بأدوات وآليات الجريمة كإحدى ثقافات المجتمعات الغربية ومحاولات البعض التشبه بها وللأسف الكثير من شبابنا اختار من الغرب أسوأ ما فيه وتقليده ويتخذه قدوة له. وساعد على ذلك ندرة المعلومات والأبحاث والدراسات العلمية التي لم تخرج عن أدراج الجامعات ومراكز البحوث ولم تدخل مجال التطبيق العملي لتغيير واقع الأسرة ومعالجة التحديات الكثيرة التي يدركها الجميع وهو ما أدى إلى غياب سياسة أسرية متكاملة للنهوض بالأسرة وبالتالي المجتمع.

ومن الطبيعي أن تكون للأوضاع السياسية المتردية التي تعيشها الأمة العربية دور كبير على حالة التفكك واللامبالاة التي تعيشها العديد من الأسر العربية نتيجة استمرار الاحتلال والقتل والجرح والاعتقال للأسر في فلسطين والعراق والصومال والسودان وغيرها.

وتفاقم الخسائر البشرية والاقتصادية وتردي الأوضاع الأمنية والاجتماعية وهو ما أدى إلى توجيه الجهود لمقاومة الاحتلال في هذه الدول على حساب معالجة المشاكل التنموية للأفراد وللأسرة وذلك انطلاقاً من شعار الأمة العربية على مدى أكثر من ٦٠ عاماً لتبني قضية العرب الأولى "فلسطين" ورغم ذلك لم تحرر فلسطين ولم تقام دولتها المستقلة.

وعلى الجانب الآخر كان لظاهرة الارهاب التي حرمت الأسرة من أبنائها وأبنائنا اما قتلة أو مقتولين ضحايا ومعتدين نتيجة للإرهاب الأعمى وذلك بسبب عوامل كثيرة أهمها غياب دور الأسرة والمجتمع في التنشئة الجيدة للأبناء ورعايتهم وكان من نتائجه هو تسلل عناصر الارهاب اليهم وتجنيدهم بعد بث الأفكار المسمومة اليهم وتبنيها من أجل تكفير الأسرة والمجتمع.

أمام ذلك كان لابد من العمل على ايجاد اسرة مستقرة آمنة يتمتع أفرادها بكامل حقوقهم وواجباتهم وتسود الديمقراطية حياتهم ويسود الحوار لغة علاقاتهم مما يرسم لدى أبنائهم مفاهيم حقوق الانسان والمشاركة وعدم التحيز والتواصل البناء بين الأجيال وتعمل على تعزيز مبادئ التضامن والتكامل والعدل والمساواة.

أسرة فاعلة في التنظيم الاجتماعي قادرة على تطوير وظائفها بصورة ايجابية تتفاعل مع متغيرات العصر والانجازات الايجابية لعصر العولمة وتتكامل مع الآخر في تنمية المجتمع وتطويره وتحافظ على القيم الانسانية والدينية والقومية في حدود تعاليم الدين الاسلامي والأديان السماوية. وتواصل الآمال من أجل ايجاد أسرة عربية منفتحة على الحضارات والثقافات الانسانية المتنوعة تتواصل مع الغير في تفاعل بناء لهم في الثقافة والحضارة الانسانية على قاعدة المساواة والاحترام المتبادل لتحقيق مستقبل أكثر آمناً للبشرية خال من النزاعات المسلحة والحروب تسوده العدالة والسلام.

نريد أسرة عربية تنشئ أبناءها على تبني مبادئ حقوق الانسان والديمقراطية والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة والقيم الروحية والاجتماعية واحترام القوانين والتشريعات واحترام الأديان السماوية وتعمل على تعزيز مبادئ التضامن والتكافل التي بثها دين.

المطلوب أسرة عربية تحترم كبار السن وتسعى إلى توفير الرعاية لهم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة وما يتطلبه ذلك من صدور قوانين ولوائح تتعلق بالخدمات الصحية المقدمة لهم.

أمام ذلك حددت الاستراتيجية لأول مرة اجراءات يجب اتخاذها على مستوى الوطن العربي للحكومات بتنظيم الزواج وشروطه وتوفر الشروط الصحية للراغبين في الزواج وانشاء محاكم للأسرة واعادة مفهوم المجلس العائلي لمعالجة الخلافات الأسرية ومشكلات الأبناء ووضع اللوائح لضمان النفقة وانهاء العنف البدني وضمان الحصول على الخدمات الصحية للأطفال والمرأة والصحة الوقائية وهي أهم من الصحة العلاجية ووضع استراتيجية وقائية للحد من العوامل المؤدية لإنجاب أبناء معوقين ورعايتهم.

والأهم هو منح الأبناء المولودين من أب أجنبي جنسية الأم إلى جانب جنسية الأب لضمان حصولهم على التعليم والرعاية الأساسية لاستقرارهم إذا كانوا يقيمون مع الأم في وطنها .مع وضع خطة متكاملة لتوعية الشباب بالمسؤوليات الناجمة عن الزواج وتأسيس الأسرة ودعم القيم الأخلاقية والدينية وإنتاج البرامج التي تدعم بناء أسر سوية ومتوازنة هذا الدور الحكومي لا بد من دعمه شعبياً وعربياً من خلال وضع دليل تشريعي لتنمية الأسرة وتفعيل دور الجمعيات والمنظمات غير الحكومية وتأسيس صناديق للزواج والعمل على نشرها إلى جانب صناديق وجمعيات لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة والفقراء لتكريس التضامن.مواجهة جماعية لظواهر تعاطي المخدرات والانحراف والتطرف والعلاقات المحرمة بين الجنسين خاصة بين الشباب وتقديم الصناديق العربية دعمها المادي لمساعدة هذه الأنشطة والاهتمام بضحايا العنف في الأسر من خلال ملتقيات وطنية واقليمية للوقوف على هموم ومشاكل الأسرة العربية وتبادل الآراء من أجل تبني وتنفيذ الأحدث في برامج التطوير والاصلاح وانشاء صندوق عربي لاغاثة الأسرة في الظروف الصحية الناتجة من الكوارث والمجاعة وتخفيف وطأة الحروب والاحتلال والنزاعات المسلحة.

ومع إدراك الجميع بأهمية هذه الاستراتيجية التي صدرت منذ أكثر من شهر في صمت فهي بحاجة إلى الدعم المادي وهو الأهم والمعوق لكثير من القرارات العربية التي صدرت عن القمم السابقة بالاجماع وللأسف لم تنفذ فهل يتوفر بسرعة الدعم لتخرج أهم استراتيجية في حياتنا إلى مجال التنفيذ وتكون بداية لإصلاح جاد وعملي للكثير والكثير من الأخطاء والمعوقات التي كشف عنها تقرير التنمية العربية الانساني وغيره.

* كاتب عربي..

آفاق

عاش الملك... مات الملك..!!

☐ نجح توني بلير في الاحتفاظ بمنصبه كرئيس للوزراء في بريطانيا، ونجح معه حزب العمال، لأول مرة، في الاحتفاظ بالحكم ثلاث مرات متوالية، وهذا ما يؤكد أن السياسات الخارجية هي في المقام الثاني بالنسبة للشعب البريطاني وغيره من شعوب العالم، وإلاّ لكان بلير قد سقط بامتياز بسبب سقطاته في امتحانات الحرب ضد العراق، والتي كان فيها ممثلاً من الدرجة العاشرة، لكنه في الحفاظ على مصالح بلاده ورفاهية مواطنيه كان بطلاً من أبطال شكسبير القائل : «أن نكون أو لا تكون، ذلك هو السؤال»، وقد حظي بالتكريم كبطل من أبطال الدرجة الأولى.

وقد ساهم في فوز بلير ضعف «كاريزما» منافسه المحافظ الذي لم يُظهر أي بريق لا في شخصيته ولا في برنامجه، مما جعل البريطانيين يترحّمون على أيام البارونة مارجريت تاتشر التي كانت تجرّ الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان من أذنيه في القضايا الدولية، وتسحب منافسيها العمال وغيرهم من أرجلهم في القضايا الداخلية، وقد جاء مقتلها من أمانها، أي من حزب المحافظين نفسه الذي يردد اليوم :

ربّ يوم بكيت منه فلمّا
صرت في غيره بكيت عليه

فضل النقيب

ومع فوز بلير فإنه لا يتوقّع أن يعيش في التّبات والنّبات ويُخلّف الصبيان والبنات، ولست أجد في هذا الصدد أفضل مما قالته سيدة بريطانية لجارتها العمالية : «أعرف أن رئيس الوزراء وغدٌ كذوب، لكنني لا أرى معنى للتصويت لغيره».

هي شهادة له وعليه، له أجرها وعليه وزرها، وبحسب تعبيرنا العربي غير الملطّف هو «أنظف الوسخين» وكفى بذلك إحطاطاً من قيمة خصومه الذين لم يكونوا في مستوى التحدي، ولكنهم كانوا في مستوى الروح الديمقراطية حين بادروا إلى تهنئته بالفوز المبين، وهذا معناه تدشين صفحة جديدة في الحياة السياسية البريطانية دون اتهامات بالتزوير الذي منه، كما اعتدنا في شرقنا الذي لا يعترف إلاّ بالمؤامرات والأيدي الممدودة من تحت الطاولة.

الشيء اللطيف في الديمقراطية البريطانية وغيرها من الديمقراطيات الراسخة أن القائد الذي تُجمع عليه الأمة لا يعصف بثوابتها ولا يمكنه أن يفعل ذلك حتى لو أراد، لأن المؤسسات القائمة على رسم السياسات العامة عميقة الجذور، ومنظمات المجتمع المدني واسعة العيون وجهيرة الصوت، فيما القيادات متشبعة بالروح الديمقراطية والتسليم بآلياتها ونتائجها، فاللعب يجري على المكشوف، والملكة التي تملك ولا تحكم توقّع المراسيم طالما كل شيء على ما يرام، أما إذا انحرف شخص أو حزب فإن نصيحة منها – إن لم تكن أمراً – كفيلة بإطلاق عاصفة تقلب الأمور رأساً على عقب، وإن شئت عقباً على رأس، وكله عند العرب صابون.

باختصار، لديهم ديمقراطية محكومة ومضمونة : مات الملك ... عاش الملك ... وحيّا الله بلير.

في ضوء المشروع اليمني للإبداع والتفوق

■ المشروع اليمني للموهبة والإبداع والتفوق المزمع تنفيذه قريباً مشروع عملاق بدأ بتوجيه فخامة الأخ/رئيس الجمهورية لوزارة التربية والتعليم بأهمية إيلاء الموهوبين والمبدعين والمتفوقين الاهتمام اكتشافاً وتشخيصاً وتربية وتنمية ورعاية في مراحل التعليم المختلفة، وتلقت قيادة وزارة التربية والتعليم بصورة جادة ذلك التوجيه الحكيم خاصة وأن الأخ الاستاذ الدكتور/ عبدالسلام الجوفي من شباب اليمن المتفوقين الجادين، وبدأ بالبحث عن مصادر تمويل وتنفيذ للمشروع، وكان الشريك هو الصندوق الاجتماعي للتنمية– وحدة التعليم وبدأت اللبنات الأولى للمشروع بوضع النظام المؤسسي، والطرق العلمية المنهجية، والاطلاع على أدبيات وتراث مؤسسات التعليم «إدارياً– وتعليمياً– ومنهجياً» وقد اطلع الفريق المكون من «الخبير العربي، والخبير المحلي، وفريق وزارة التربية، ومسئول المشروع في الصندوق الاجتماعي» ميدانياً على إمكانية نجاح المشروع ومعوقاته وتم النزول الى بعض المدارس في بعض المحافظات آخرها محافظة عمران، والتي زرنا فيها مدرسة الحسين بن علي للبنات ومدرسة ٢٢ مايو للأولاد، وفي مدرسة ٢٢ مايو الثانوية، اكتشفنا جملة من المواهب والابداعات في أكثر من حقل ومجال، وهذا في كل مدرسة في كل محافظة في الوطن، ولكن دعونا نتساءل ونذكر بآخر حالة في آخر زيارة وهي حالة الطالب «مرزوق صالح هادي» هذا الطالب في الصف الثاني الثانوي علمي لديه جملة من الاختراعات أو مشاريع الاختراعات والأفكار الفائقة والرؤى والتصورات والأحلام الطموحة، لا أريد أن أفصل فيها إلا أنني أريد أن أقول أن المسئولية الاجتماعية والبعد الاجتماعي والشعور بأهمية حل المشكلات في الحياة اليمنية وتسيطر على عقلية الشاب «مرزوق هادي» مدرسة ٢٢ مايو بمبناها الجديد المدعوم والممول من الصندوق الاجتماعي للتنمية مديرها شاب يستحق التحية والاحترام تلمح منه الجدية والمثابرة والاحساس بضرورة التطور والتقدم، هذه المدرسة فيها من الأجواء ما يجعلها تصبح مدرسة نموذجية ينفذ فيها المشروع الخاص بالموهبة والابداع والتفوق وأخيراً فإني أرجو من كل حملة الأقلام والأفكار وأصحاب الآراء والقضايا أن يوجهوا الاهتمام والعناية بدعم «مشروع الموهبة والابداع والتفوق» لأهميتها في معالجة القضايا وحل المشكلات ومواكبة العصر، وأخيراً أتمنى أن أسمع أننا عملنا شيئاً لمرزوق هادي وأمثاله..

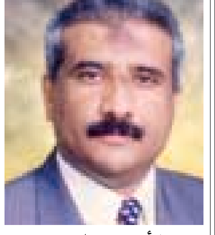
د/أحمد المعمري